شبكة الألوكة
www.alukah.net

القول النفيس

فيما يخص نقل عرش بلقيس

محمد بن أحمد رفيق

القول النفيس

فيما يخص نقل عرش بلقيس

بقلم

محمد بن أحمد رفيق

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأظهر فيه الحق واضحا أبلجا، وبيّن فيه الباطل لجلجا، مُثنياً على أولي العلم القائلين عن المتشابه (آمنا به كل من عند ربنا)، ذامّا لأهل الزيغ المتبعين لما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله ربنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل: «تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به الناس، ورجل يقرأه لله».[1] صلى الله عليه وعلى آهل وسلم.

وبعد: فإن الاهتمام بالقرآن، قراءة وتدبرا، ودراسة وتأملا، من أعظم ما يُشغل به العبد وقته، ليحصل له المزيد من التعرف على ربه، فيعبده ويتقرب إليه بما يحب ويرضى، ويبتعد عما يزجر عنه وينهى.

ولكن، على المسلم أن يحذر من تلبيس إبليس، حيث يشغله بالتعمق والدراسة في آيات، إما من المتشابه التي لا مجال لتأويلها، وإما مما لا يترتب عليها حكم شرعي، فيضيع الوقت هدرا، ويكون ما توصل إليه بحثه أو دراسته، مما العلمُ به لا ينفع، والجهل به لا يضر.

---

[1] الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (2/ 16). ومختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي (ص: 180). والبيهقس في شعب الإيمان (4/ 198). وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (1/ 257)رقم الحديث:258

وفي هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: « أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً، وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف الغناء ليسوا بخياركم»، وفي لفظ آخر: «يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه».[2]

وفي رواية له: «أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً، إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به»[3].

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: « إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من ربّهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار».[4]

إن من أخطر ما ابتلينا به في عصرنا، أن صار الطالب في الجامعة يقدم بحثا معمّقا في آية ما، أو سورة ما، فيدرس معانيها وأبعادها ومقاصدها، ليس إلا لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه، وليس له من حظها إلا «الشهادة» !

وفي مثل هذا قال صاحب الظلال: « القرآن لا يتفتح عن أسراره إلا للعصبة المسلمة التي تتحرك به، لتحقيق مدلوله في عالم الواقع. لا لمن يقرأونه لمجرد التبرك! ولا لمن يقرأونه لمجرد الدراسة الفنية أو العلمية، ولا لمن يدرسونه لمجرد تتبع الأداء البياني فيه! إن هؤلاء جميعاً لن يدركوا من هذا القرآن شيئاً يذكر. فإن هذا

---

[2] قوت القلوب لأبي طالب المكي (1/ 250)

[3] إحياء علوم الدين (1/ 64)

[4] قوت القلوب (1/ 107)

القرآن لم يتنزل ليكون مادة دراسة على هذا النحو إنما تنزل ليكون مادة حركة وتوجيه».[5]

ومسألة التعمق في البحث عن: «نقل عرش ملكة سبأ» كيف وقع..؟ ومن أتي به..؟ وهل هو معجزة لنبي الله سليمان..؟ أو كرامة أجراها الله على يد الذي عنده علم من الكتاب..؟؟ !!..إلخ.

كل هذه الأسئلة لم يتعرّض لها سياق الآيات ولم يفصّل بالتدقيق فيها، بقدر ما أشار إلى عظم منن الله تعالى على عبده سليمان عليه السلام، حيث سخر له الجن والإنس يخدمونه، ويتسابقون لتنفيذ أوامره دون تردد، ليقول سليمان . بعد رؤيته عرش الملكة بين يديه .: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ الآية[النمل: 40]. وليتأسى به الملوك وأهل المال والجاه والغنى.

ونظرا لجرأة بعض مَن يقدّس "العقل والمنطق والفلسفة"، فقد ارتأيت أن أمهّد لهذه الخواطر أقوال بعض أهل العلم في علم التفسير وبعض شروطه، لعل الله تعالى يلهمني وإياهم الصواب فنتبعه، والخطأَ والزللَ فنجتنبه.

[5] في ظلال القرآن (4/ 1948)

تمهيد

اعلم ـ أخي الكريم ـ أن الإقبال على تفسير آية من كتاب الله تعالى، معناه بيان مراد الحق سبحانه، وقد اشترط العلماء قواعد للنظر في تفسير القرآن، بل صنفوا كتبا خاصة به، يطلق عليه: «علوم القرآن».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها. وتفسير لا يعذر أحد بجهالته. وتفسير يعلمه العلماء. وتفسير لا يعلمه إلا الله، والله سبحانه وتعالى أعلم».[6]

وقال الإمام السيوطي رحمه الله: « قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية وما نزل ليلا وما نزل نهارا وما نزل مشيعا وما نزل مفردا والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة وما نزل مجملا وما نزل مفسرا وما

[6] الإتقان في علوم القرآن (4/ 216)

اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي **فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى**. انتهى».[7]

وهذا الإمام الشاطبي رحمه الله يقول: «ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم **ويتجنب المحدثات وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينهما فعل**».[8]

ولخّص الشيخ المقرئ محمد معبد رحمه الله شروط المفسر بقوله: «شروط المفسر لكتاب الله تعالى قد ذكرها العلماء في عدة شروط نختصرها لك فيما يأتي:

أولا: صحة العقيدة، لأن صحة العقيدة لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يتأثر به الإنسان يظهر في كلامه منطوقا ومكتوبا.

ثانيا: التجرد عن الهوى، فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم ولو كانت على غير حق.

ثالثا: أن يطلب تفسير القرآن بالقرآن، فإن بعض القرآن يفسر بعضه، فما أجمل منه في موضع، فإنه قد فصّل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر .. وهكذا.

رابعا: أن يطلب تفسير القرآن بالسنة النبوية، وذلك لأن السنة شارحة للقرآن وموضحة له، وقد ذكر القرآن الكريم أن أحكام الرسول صلّى الله عليه وسلم التي كان يحكم بها هي وحي من الوحي وقد بيّن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ

---

[7] الإتقان في علوم القرآن (1/ 36)

[8] الإتقان في علوم القرآن (4/ 201)

خَصِيمًا﴾ [النساء: 105]. ولهذا قال الرسول صلّى الله عليه وسلم «ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه»[9] أي السنة.

خامسا: أقوال الصحابة، لأنهم أدرى بذلك من مشاهدتهم للعديد من القرائن والأحوال والحوادث عند نزول القرآن الكريم، ولما لهم من خصوصية الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح مع الإخلاص الكامل لله ولرسوله. وقد روى الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل على رسول الله صلّى الله عليه وسلم له حكم المرفوع، ولأنهم هم الأمناء الأول على الرسالة الإسلامية وكان الواحد منهم إذا تعلم من النبي صلّى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزها حتى يعلم ما فيها من العلم والعمل.

سادسا: أقوال التابعين، فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة. فإنه يرجع إلى أقوال التابعين، وقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والحسن البصري وغيرهم، ومن التابعين من تلقّى التفسير عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

سابعا: أن يكون عالما باللغة العربية وفروعها، لأن القرآن نزل بلغة العرب، ولابدّ للمفسر من معرفة مفردات الألفاظ عند الشرح. حتى لا يقول في كلام الله تعالى ما لا يجوز ولا يليق.

ثامنا: أن يكون عالما بأصول العلوم المتصلة بالقرآن وعلم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب العزيز التي في حق الله تعالى وصفاته تأويلا يتجاوز به الحق

---

[9] قال الترمذي: حديث حسن، وقال البيهقي: إسناده صحيح.

والصواب، كما يجب عليه أن يكون عالما بعلم الأصول، وأصول التفسير خاصة والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك من العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم.

تاسعا: دقة الفهم- أو علم الموهبة- كما قال السيوطي في كتاب الإتقان، وهو الذي به يتمكن المفسر من ترجيح معنى على معنى آخر. وهذا علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم». (انتهى).[10]

وقال نور الدين عتر عمن يريد التصدي للتفسير بالرأي:

أولا: التحفظ من القول في كتاب الله تعالى إلا على بيّنة، باستيفاء العلوم التي ذكرناها. فإن الناس في العلم بالأدوات المحتاج إليها في التفسير على ثلاث طبقات:

إحداها: من بلغ في ذلك مبلغ الراسخين، كالصحابة والتابعين ومن يليهم، وهؤلاء قالوا في التفسير برأيهم مع التوقي والتحفظ، والهيبة والخوف من الهجوم، فنحن أولى منهم إن ظننا بأنفسنا أنا في العلم والفهم مثلهم. وهيهات.

الثانية: من علم من نفسه أنه لم يبلغ مبالغهم ولا داناهم، فهذا طرف لا إشكال في تحريم ذلك عليه. وسبيله أن يأخذ تفسيرا يدرسه بمراجعة العلماء.

الثالثة: من شكّ في بلوغه مبلغ أهل الاجتهاد أو ظن ذلك في بعض علومه دون بعض. فهذا أيضا داخل تحت حكم المنع من القول فيه، لأن الأصل عدم العلم، فعند ما يبقى له شك أو تردد في الدخول مدخل العلماء الراسخين فانسحاب الحكم الأول عليه باق بلا إشكال. وكل أحد فقيه نفسه في هذا المجال، وربما تعدى بعض أصحاب هذه الطبقة طوره، فحسن ظنه بنفسه، ودخل في الكلام

---

[10] نفحات من علوم القرآن (ص: 125/ 126)

فيه مع الراسخين. ومن هنا افترقت الفرق، وتباينت النحل، وظهر في تفسير القرآن الخلل.

ثانيا: ينبغي على الناظر في القرآن أن يعتمد في ذلك على من تقدمه وله في ذلك سعة إلا فيما لا بد له منه وعلى حكم الضرورة، وما زال السلف الصالح يتحرجون من القول في القرآن، فإن المحظور فيه شديد جدا، وهو خوف التقوّل على الله تعالى.

ثالثا: أن يكون على بال من الناظر والمفسر والمتكلم على القرآن أن ما يقوله من التفسير هو قول بلسان بيانه: هذا مراد الله من هذا الكلام، فليتثبت أن يسأله الله تعالى: من أين قلت عني هذا؟ فلا يصح له ذلك إلا ببيان الشواهد وإلا كان باطلا، ودخل صاحبه تحت الوعيد الشديد الوارد في أهل الرأي المذموم.

ولذلك احتاط السلف في الكلام على القرآن أيما احتياط، مع ما كانوا عليه من العلم.

عن مسروق الهمداني قال: «**اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله**».

وعن إبراهيم النخعي قال: «**كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه**».

وهذا الأصمعي وجلالته في علم اللغة وإمامته معروفة قد نقل عنه أنه لم يفسر قط آية من كتاب الله، وإذا سئل عن ذلك لم يجب.

وعن سعيد بن المسيب وهو سيد التابعين وأحد الفقهاء الأئمة السبعة أنه كان إذا سئل عن شيء من القرآن قال: «أنا لا أقول في القرآن شيئا».

وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فقال له ابن عباس: فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال الرجل: إنما سألتك

لتحدثني! فقال ابن عباس: «هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما. نكره أن نقول في كتاب الله ما لا نعلم».[11]

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «إن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلوما؛ فالزيادة على ذلك تكلف، ويتبين ذلك في مسألة عمر، وذلك أنه لما قرأ: ﴿وفاكهة وأبّا﴾ [عبس: 31] ، توقف في معنى الأبّ، وهو معنى إفرادي لا يقدح عدم العلم به في علم المعنى التركيبي في الآية؛ إذ هو مفهوم من حيث أخبر الله تعالى في شأن طعام الإنسان أنه أنزل من السماء ماء فأخرج به أصنافا كثيرة مما هو من طعام الإنسان مباشرة؛ كالحب، والعنب، والزيتون، والنخل، ومما هو من طعامه بواسطة، مما هو مرعى للأنعام على الجملة؛ فبقي التفصيل في كل فرد من تلك الأفراد فضلا؛ فلا على الإنسان أن لا يعرفه، فمن هذا الوجه والله أعلم؛ عد البحث عن معنى الأب من التكلف، وإلا؛ فلو توقف عليه فهم المعنى التركيبي من جهته لما كان من التكلف، بل من المطلوب علمه لقوله: ﴿ليدبروا آياته﴾ الآية».[12]

وقال أيضا: «العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم على أقسام:

قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ كعلوم1 اللغة العربية التي لا بد منها وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك؛ فهذا لا نظر فيه هنا.

ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن، وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيلة بالحقيقة، فإن علم العربية، أو علم الناسخ والمنسوخ، وعلم

---

[11] علوم القرآن الكريم (ص: 94)

[12] الموافقات (1/ 57)

الأسباب، وعلم المكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم أصول الفقه، معلوم عند جميع العلماء أنها معينة على فهم القرآن، وأما غير ذلك؛ فقد يعده بعض الناس وسيلة أيضا ولا يكون كذلك، كما تقدم في حكاية الرازي في جعل علم الهيئة وسيلة إلى فهم قوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ [ق: 6] .

وزعم ابن رشد الحكيم في كتابه الذي سماه بـ«فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» أن علوم الفلسفة مطلوبة؛ إذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها، ولو قال قائل: إن الأمر بالضد مما قال لما بعد في المعارضة.

وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم، هل كانوا آخذين فيها، أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن، يشهد لهم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والجم الغفير؛ فلينظر امرؤ أين يضع قدمه، وثم أنواع أخر يعرفها من زاول هذه الأمور، ولا ينبئك مثل خبير؛ فأبو حامد ممن قتل هذه الأمور خبرة، وصرح فيها بالبيان الشافي في مواضع من كتبه».[13]

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله: «ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم علم دلائل الإعجاز قال في «الكشاف» : «علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم

[13] الموافقات (4/ 198)

الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علما البيان والمعاني اهـ».

وقال في تفسير سورة الزمر [آية:67] عند قوله تعالى: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾: «وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول، قد ضيم وسيم الخسف، بالتأويلات الغثة، والوجوه الرثة، لأن من تأولها ليس من هذا العلم عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلا منه من دبير» يريد به علم البيان.

وقال السكاكي في مقدمة القسم الثالث من كتاب «المفتاح» : «وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين (المعاني والبيان) كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل»[14].

[14] التحرير والتنوير (1/ 19)

الجواب على السؤال

يقول البعض منكرا: «لا يمكن اعتبار نقل العرش معجزة لنبي الله سليمان عليه السلام، ولا حتى كرامة للعبد الصالح الذي عنده علم من الكتاب» !.

أقول . وبالله أحول وعلى الشبهة أَصُول .

يجدر بنا . لفهم الآية . ذكر أشهر أقوال المفسرين، مع ترجيح أقرب الأقوال إلى الصحة. وذلك تبعا للشروط التي اتفق عليها العلماء للتفسير.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 38 – 40].

التفسير الإجمالي لهذه الآيات: أنه لما اقترب وفد بلقيس من بلاد الشام، جمع سليمان عليه السلام جنده من الجن والإنس، وخاطبهم بقوله: ﴿قالَ: يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي قال سليمان: يا أيها السادة الأعوان، من منكم يستطيع الإتيان بعرش (سرير) بلقيس قبل وصولها مع وفدها إلينا منقادين طائعين، ليكون ذلك دليلا على صدق نبوتنا، ومعجزة إلهية تعرف بها أن مملكتها صغيرة أمام عجائب الله وبدائع قدرته؟ فأجابه بعض جنده: ﴿قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي قال شيطان مارد من الجن: أنا أحضره إليك قبل انفضاض مجلس حكمك وقضائك، وكان يمتد إلى منتصف النهار، ثم أكد عزمه وضمن نتيجة

فعله بقوله: وإني على حمله لقادر غير عاجز، أمين غير خائن، لا آخذ منه شيئا، ولا أمسّ ما فيه من الجواهر واللآلئ.

ثم أجابه آخر بعد أن قال سليمان: أريد أعجل من ذلك، لأنه أراد بإحضار هذا السرير عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد بعده، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها، بأن يأتي بخارق عظيم وهو إحضار سريرها من بلادها في اليمن بعد أن تركته محفوظا، قبل وصولها إليه:

﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي قال عالم من علماء أسرار الكتاب الإلهي: أنا أحضره في لمح البصر قبل أن تغمض عينك وقبل أن يرجع إليك نظرك.

وهذا العالم: قيل: كان من الملائكة إما جبريل أو غيره من الملائكة، أيد الله تعالى به سليمان عليه السلام، وقيل: كان من الإنس وهو آصف بن برخيا وزير سليمان وهو المشهور من قول ابن عباس، وكان يعلم الاسم الأعظم، إذا دعا به أجيب. أو هو الخضر عليه السلام، والراجح في رأي الرازي أنه سليمان عليه السلام لأنه أعرف بالكتاب من غيره لأنه هو النبي.

وقال أبو حيان: ومن أغرب الأقوال أنه سليمان عليه السلام، كأنه يقول لنفسه: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. والمهم أنه حدث ما وعد به هذا العالم، والله أعلم به». (انتهى).[15]

والذي يهمنا من الآية: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

---

[15] التفسير المنير للزحيلي (19/ 302 . 303)

لابد من تقدير محذوف على طريق الإيجاز . وهذا معلوم في لسان العرب، والقرآن مليء به . وهو في هذه الآية تقديره: «قال سليمان أريد أن يتم ذلك في أسرع وقت». (قال) فعل ماض (الذي) فاعل والظرف (عنده) متعلق بمحذوف خبر مقدم أفاد الحصر، و(علم) مبتدأ مؤخر. ولم يقل: «قال الذي علم الكتاب عنده» و(من الكتاب) صفة لعلم. والجملة صلة الموصول و(أنا) مبتدأ وجملة (آتيك به) خبر. والجملة مقول القول. (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يرجع إليك نظرك.

والأقوال في (الذي عنده علم من الكتاب)، وأحضرَ عرشَ بلقيس لم يثبت فيها نص صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك كثرت الأقوال فيه، وأشهرها أنه آصف بن برخيا ابن خالة سليمان، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى. وهو قول جمهور المفسرين نقلا عن رواية ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان عليه السلام. وقيل هو جبريل عليه السلام، قاله النخعي، ويروى عن ابن عباس أيضا. وقيل هو سليمان نفسه.

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن مجاهد، قال: في قراءة ابن مسعود: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي وآتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك).[16]

قلت: وهذه القراءة الشاذة يمكن الاستئناس بها في تفسير الآية، على أن الكتاب هنا هو التوراة. لأنه جاء معرفا بـ: "ال". ولعل هذا الذي عنده علم استنبط منه الاسم الأعظم الذي إذا دعي به الله تعالى استجاب في الحين. وهذا

[16] فضائل القرآن (ص: 308)

لا يقدح في أن يغيب هذا الاسم على نبي الله سليمان، فقد ثبت الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو **علمته أحدا من خلقك**، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي. إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا. قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها «. رواه أحمد، والحارث بن أبي أسامة في مسنده، والطبراني في الكبير، وابن حبان في صحيحه.

قلت: فقوله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله تعالى: «**أو علمته أحدا من خلقك**» فيه دليل على إمكان إطلاع عبد من عباد الله على اسمه الأعظم وإن لم يكن نبيا.

وروى اللالكائي بسنده عن ابن عباس، رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾ [النمل: 39] قال سليمان: أريد أعجل من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب وهو رجل من الإنس وهو الذي عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر الذي إذا دعي به أجاب قال: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل: 40]

قال: فدعا بالاسم وهو عنده قائم فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدي سليمان، والله صنع علم ذلك».[17]

[17] كرامات الأولياء للالكائي (9/ 80)

وهذا القول يروى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وأبي صالح ويزيد بن رومان وزهير بن محمد والزهري.

وذهب ابن لهيعة إلى أنه الخضر. واختياره لهذا القول، ربما نظر لتشابه الآية بين قوله تعالى في وصف الخضر بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65]. وبين قوله تعالى في قصة سليمان: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: 40]. ولكن هذا القول لا يستقيم، لأن الخضر لم يكن ضمن الملأ المسخر لسليمان عليه السلام.

قال الشيخ المنتصر الكتاني رحمه الله: «وقد اختلف العلماء في هذا الذي عنده علم من الكتاب اختلافاً كثيراً، فقال الأكثر: إنه جني، وكان يعلم اسم الله الأعظم، وقال البعض: إنه إنسي، وهو كاتب سليمان الخاص، وذكروا له أسماء، وكل ذلك لا معنى له، والحكمة ليست في الأسماء، وتفاصيل القصة لا نجدها إلا في قصص بني إسرائيل وإسرائيلياتهم، والحق ما قاله الله، وما زاده بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاسم الهدهد، واسم النملة، واسم العفريت، كل ذلك زيادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا حاجة إلى هذه التفاصيل، ولذلك لم يذكرها الله، ولم يذكرها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد اختلفوا في المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل:40]، فقال الجمهور: هو اسم الله الأعظم.

وينبغي أن يعلم أن للتفسير أصولاً، وهي أن تفسر الآية بالآية أولاً، فإن لم توجد فبما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يوجد فبما أجمع عليه الصحابة، فإذا لم يوجد فبما جاء في اللغة العربية المنزل بها الكتاب.

فكون ذلك العلم اسم الله الأعظم ليس له مستند، ولا يمكن الاعتماد عليه بغير دليل، والله سمى ذلك علماً فقال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل:40]، فنسب إليه علماً، وهذا العلم مأخوذ من الكتب المنزلة على الأنبياء، فعلمها هذا الشخص.

والآية ليس فيها ذكر كونه عفريتاً أو إنساناً.

والعلم يعطاه المؤمن ويعطاه الكافر.

وقد قال الحاتمي: كل ما ذكر في القرآن من المعجزات لن تنتهي الدنيا حتى يصبح شيئاً عادياً، فلا يبقى معجزاً، وإنما هو معجز في وقته لمن أرسل إليهم.

فهذا العرش كان في مأرب في اليمن، وكان سليمان في بيت المقدس، والمسافة بين بيت المقدس وبين مأرب آلاف من الكيلو مترات.

ونحن نرى اليوم كفاراً وملاحدة استعملوا الصواريخ التي وصلت إلى أعلى الفضاء، والصاروخ يقطع في الثانية الواحدة الآلاف من الكيلو مترات، وهم لم يؤمنوا بالله يوماً، وبعضهم ملحد لا يؤمن برب ولا بنبي».[18]

قلت: كلام الشيخ المنتصر الكتاني رحمه الله قيّم وجيّد على العموم، وقريب من الصواب، لكن استدلاله بقول الحاتمي فيه نظر. فإنه لحد الآن معجزات الأنبياء لم تظهر على الوجه التام والمطابق في عصرنا، فهذه الطائرة . وإن كان على متنها البشر . فلن يتأتى لها حمل ما كان يحمله بساط سليمان عليه السلام. فقد

[18] تفسير المنتصر الكتاني (8/ 135)

قال ابن كثير في تفسيره عن هذا المشهد: « كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيل والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل وتوضع آلاته وخشبه، قال الله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ [ص:36] ، وقال ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ [سبأ:12] .

قال ابن أبي حاتم: ذكر عن سفيان بن عيينة، عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي، فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن، ثم يأمر الطير فتظلهم، ثم يأمر الريح فتحمله صلى الله عليه وسلم.

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: كان سليمان يأمر الريح، فتجتمع كالطود العظيم، كالجبل، ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها، ثم يدعو بفرس من ذوات الأجنحة، فترتفع حتى تصعد على فراشه، ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء، وهو مطأطئ رأسه، ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيما لله عز وجل، وشكرا لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله تعالى حتى تضعه. الريح حيث شاء أن تضعه».[19]

وقِس على ذلك معجزة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ والمعجزة الخالدة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي هي القرآن.

[19] تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 358 ـ 359)

وذهب ابن تيمية إلى كون الذي أتى بالعرش ملَكا، فقال: « وكإتيانهم لسليمان بعرش بلقيس؛ فقد روي أنّ الملائكة جاءته به وهي أقدر من الجنّ».[20]

وقال في موضع آخر: « والذي عنده علمٌ من الكتاب، لما قال عفريتٌ من الجنّ لسُليمان: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وإِنِّي عَلَيهِ لقَوِيّ أَمِين قال الَّذي عِنْدَه عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾؛ أتته به الملائكة؛ كذلك ذكره المفسرون عن ابن عبّاس وغيره: أن الملائكة أتته به أسرع مما كان يأتي به العفريت».[21]

وقال الشيخ الآلوسي رحمه الله: «ولعل الأظهر أن القائل أحد أتباعه، ولا يلزم من ذلك أنه عليه السلام لم يكن قادرا على الإتيان به كذلك فإن عادة الملوك تكليف أتباعهم بمصالح لهم لا يعجزهم فعلها بأنفسهم فليكن ما نحن فيه جاريا على هذه العادة، ولا يضر في ذلك كون الغرض مما يتم بالقول وهو الدعاء ولا يحتاج إلى أعمال البدن وأتعابه كما لا يخفى».[22]

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: «ولما علم سليمان بأنها ستحضر عنده أراد أن يبهتها بإحضار عرشها الذي تفتخر به وتعده نادرة الدنيا، فخاطب ملأه ليظهر منهم منتهى علمهم وقوتهم. فالباء في بعرشها كالباء في قوله: (فلنأتينهم بجنود) [النمل: 37] تحتمل الوجهين.

وجملة: (قال يا أيها الملؤا) مستأنفة ابتداء لجزء من قصة. وجملة: (قال عفريت) واقعة موقع جواب المحاورة ففصلت على أسلوب المحاورات كما تقدم غير

---

[20] النبوات لابن تيمية (1/ 503)

[21] النبوات لابن تيمية (2/ 1066)

[22] روح المعاني (10/ 198)

مرة. وجملة: (قال الذي عنده علم من الكتاب) أيضا جواب محاورة...(إلى أن قال) وهذه المناظرة بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة، وأن الحكمة مكتسبة لقوله: عنده علم من الكتاب، وأن قوة العناصر طبيعة فيها، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضا. **فذكر في هذه القصة مثلا لتغلب العلم على القوة. ولما كان هذان الرجلان مسخرين لسليمان كان ما اختصا به من المعرفة مزية لهما ترجع إلى فضل سليمان وكرامته أن سخر الله له مثل هذه القوى. ومقام نبوته يترفع عن أن يباشر بنفسه الإتيان بعرش بلقيس.**

والظاهر أن قوله: (قبل أن تقوم من مقامك) وقوله: (قبل أن يرتد إليك طرفك) مثلان في السرعة والأسرعية، والضمير البارز في رآه يعود إلى العرش...».[23]

قال مقيده: نخلص من خلال عرض هذه التفاسير أنه ليس هناك أي نص صحيح يعتمد عليه، في تعيين الذي عنده علم من الكتاب، خاصة وأن القصة مما مضت، وهي غيب.

وأرجح الأقوال عندي ترك الوصف على ما هو دون تعيين، إذ لو شاء الله لعرّفه بالاسم أو بوصف غير وصف (الذي عنده علم من الكتاب). والله أعلم.

---

[23] التحرير والتنوير (19/ 270 . 271)

لذا أميل إلى قول صاحب الظلال حيث قال: « ولقد جرى بعض المفسرين وراء قوله: «عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ» فقال بعضهم: إنه التوراة. وقال بعضهم:

إنه كان يعرف اسم الله الأعظم. وقال بعضهم غير هذا وذاك. وليس فيما قيل تفسير ولا تعليل مستيقن. والأمر أيسر من هذا كله حين ننظر إليه بمنظار الواقع، فكم في هذا الكون من أسرار لا نعلمها، وكم فيه من قوى لا نستخدمها. وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها. فحيثما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة، وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره، حيث لا يملك من لم يرد الله أن يجريها على يديه أن يجريها.

وهذا الذي عنده علم من الكتاب، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي، ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار.

وقد ذكر بعض المفسرين أنه هو سليمان نفسه- عليه السّلام- ونحن نرجح أنه غيره. فلو كان هو لأظهره السياق باسمه. ولما أخفاه. والقصة عنه، ولا داعي لإخفاء اسمه فيها عند هذا الموقف الباهر. وبعضهم قال: إن اسمه آصف ابن برخيا ولا دليل عليه». (انتهى).[24]

وكيفما كان الحال، فإن الذي عنده علم من الكتاب، تسبّب بالعلم . الذي قد يكون الدعاء باسم الله الأعظم أو أي شيء تقرب به إلى الله . وإلا

[24] في ظلال القرآن (5/ 2641)

فالعرش انتقل في أقل من لمح البصر بأمر الله، وبـ: «كن فيكون». لذلك قال سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

وحينئذ لا عجب في ذلك ولا غرابة في مدى السرعة التي انتقل بها العرش من مكان إلى مكان، وتحليل ذلك حسب قانون المادة، وسرعة الضوء، وغير ذلك.

فهذا نبي الله، محمد خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم أُسري به من مكة إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى أن بلغ سدرة المنتهى فوق سبع سماوات، كل ذلك في ليلة، بل في جزء من الليل، ولذا جاء لفظ الليل في الآية نكرة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ **لَيْلًا** مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الآية.[الإسراء: 1] فـ: (ليلا) نكرة تفيد تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة.

فصل

هل يعتبر نقل عرش بلقيس بتلك السرعة الخارقة معجزة أو كرامة؟

للجواب عن هذا السؤال لابد من تعريف كل من الكرامة والمعجزة.

أما الكرامة فهي: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا. وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة.[25]

وأما المعجزة فهي: أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله.[26]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اسم: المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره – ويسمونها: الآيات – لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل «المعجزة» للنبي و«الكرامة» للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة... (إلى أن قال) وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من «باب الكشف والعلم» فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلا، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام. و«القدرة» مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد،

---

[25] التعريفات (ص: 184)

[26] التعريفات (ص: 219)

وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها فإن تعداد هذا مثل المطر». (انتهى)[27]

ونقلُ العرش بتلك السرعة الخارقة، لا يخرج عن كونه إما كرامة وإما معجزة، فإن كان الذي عنده علم من الكتاب من الإنس أو الجن فهو كرامة. أكرم الله بها ذاك العبد المسخّر لسليمان عليه السلام. ومعلوم أن الذين سخّرهم الله تعالى لسليمان عليه السلام هم ـ أصلا ـ معجزته. كما هو مصرح في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: 81 ـ 82]. وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 12، 13].

وإن كان الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه عليه السلام، فهو معجزة لتأييد نبوته ورسالته.

والظاهر من أغلب أقوال أهل العلم أنها كرامة ومعجزة في ذات الوقت، فهي كرامة بالنسبة للذي عنده علم من الكتاب، ومعجزة لتسخير هذا المكرَم بها لنبي الله سليمان عليه السلام، لأن ذلك يدخل ضمن ما سخّره الله لعبده سليمان معجزة دالة على صدق رسالته. خاصة وأن كل معجزة كرامة.

---

[27] مجموع الفتاوى (11/ 311 ـ 318)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ما أراه من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء. وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولي أو بتسخير الجن، كما في قصة بلقيس حيث: ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل: 39 . 40]. **فإن قطع الجسم للمسافة البعيدة إنما كان لما أوتيه سليمان من الملك،** كما كانت الريح: ﴿تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ [سورة ص: (37 . 38)] . **وهذا تسخير ملكي.** وقطعُ محمد صلى الله عليه وسلم كان لما أراه الله من الآيات التي ميزه بها على سائر النبيين، وكان ذلك فتنة: أي محنة وابتلاء للناس، ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه».[28]

وقال رحمه الله في موضع آخر: «قال العفريتُ لسليمان لما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39)﴾. فهذا يبين أن العفاريت يقدرون على مثل ذلك، **لكن هذا كان لسليمان تسخيرًا من الله لسليمان، كما سخر له الريح غدوُّها شهر ورواحها شهر، والشياطين كل بناء وغوَّاص، وآخرين مقرنين في الأصفاد».**[29]

وقال البيهقي: باب القول في كرامات الأولياء قال الله عز وجل في قصة مريم عليها السلام ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم

---

[28] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (6/ 167 . 168)

[29] جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس (1/ 219)

أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: 37] . وقال في قصة سليمان عليه السلام ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل: 40] وآصف لم يكن نبيا وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين ، فأما على الصادقين فإنه يجوز ويكون ذلك دليلا على صدق من صدقه من أنبياء الله عز وجل».[30]

وقال النحاس: «قيل: إنما أراد بهذا أنهم إذا أتوا مسلمين لم يجز أن يؤتى بعرشها إلّا بإذنها، وقيل: **إنما أراد سليمان صلّى الله عليه وسلّم أن يظهر آية معجزة**.[31]

وقال القاضي ابن العربي رحمه الله: فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما الفائدة في طلب عرشها؟ قيل: فيه أربع فوائد:

الفائدة الأولى: أحب أن يختبر صدق الهدهد.

الثانية: أراد أخذه قبل أن تسلم، فيحرم عليه مالها.

الثالثة: أراد أن يختبر عقلها في معرفتها به.

الرابعة: **أراد أن يجعله دليلا على نبوته**؛ لأخذه من ثقاتها دون جيش ولا حرب».[32]

وقال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، **ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه**، أنها خلَّفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها،

---

[30] الاعتقاد للبيهقي (ص: 307)

[31] إعراب القرآن للنحاس (3/ 144)

[32] أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (3/ 488 . 489)

فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى ولية من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوّته.

فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ بتأويله، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة».[33]

وقال الشيخ وهبة الزحيلي رحمه الله: «**إن ما حدث من إحضار العرش بهذه السرعة هو معجزة لسليمان عليه السلام**، والمعجزات خوارق للعادات، لا تخضع لمقاييس الأحوال العادية، ولا يصدق بالمعجزة إلا مؤمن بقدرة الله، أما الكافر الملحد أو المادي الذي لا يصدق إلا بما يقدمه العلم التجريبي، فإن إقناعه بذلك عبث. وقد أراد سليمان أن يظهر لها أن الجن مسخرون له، وكذلك الشياطين لتعرف أنها نبوة، وتؤمن بنبوته.

إن ظهور المعجزة على يد الأنبياء أمر موجب للشكر والحمد الكثير لله عز وجل، لتأييدهم بها، ولإظهار عجزهم الحقيقي أمامها، لذا قال سليمان لما رأى العرش ثابتا مستقرا عنده: هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي أي هذا النصر والتمكين من فضل الله ربي، لينظر أأكون شاكرا حامدا، أما كافرا بالنعمة جاحدا؟».[34]

وقال محمد أبو زهرة: «الإتيان بعرشها بين غمضة عين وانتباهتها، أو كما عبَّر القرآن الكريم ﴿آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ، وهذا من تسخير الله

[33] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (19/ 463)

[34] التفسير المنير للزحيلي (19/ 307)

تعالى لسليمان، ومن العلم الذي أعطاه الله بعض عباده المخلصين، ونقول: إنَّ الآية صريحة في أنَّ الذي أتى هو عرشها حقيقة لا صورته، كما يقول المتشددون في المادية، ومع ذلك إذا كانت هي الصورة فإنَّ الخارق ثابت، وهو أنَّه أتى به قبل أن يرتد إليه طرفه.

العبرة في خوارق العادات لسليمان:

أطنبنا بعض الإطناب في النقل من القرآن الكريم عن خوارق العادات في عهد نبي الله سليمان عليه السلام؛ وذلك لأنَّ هذا العصر كانت فيه الفلسفة الأيونية مسيطرة في آسيا الصغرى، وتولدت عنها فلسفة اليونان، وكانت الفلسفة الأيونية قائمة على الأخذ بالأسباب والمسببات، وتولّد المعلول من العلة في انتظام قائم لا يتخلف، فجاء سليمان عليه السلام، وقام سلطانه كله على خرق للأسباب والمسببات، والقيام على إثبات أنَّ الكون كله بإرادة مريد مختار، ولا يفعل إلا ما يريد، ولا يصدر عنه شيء بغير إرادته الخالدة الثابتة، فقام سليمان بذلك، وأجرى الله تعالى تلك الخوارق على يديه، فأجرى الريح التي غدوّها شهر ورواحها شهر على يديه، وعلِّم منطق الطير، وسمع حديث النمل، وجاءه عرش بلقيس بين يديه قبل أن يرتدَّ إليه طرفه، وسخَّر الله تعالى له الجنّ، وكان كل شيء في حكمه بخوارق العادات، أو بخرق نظام الأسباب والمسببات العادية التي بنيت عليها نظرية أنَّ المخلوقات نشأت عن الموجد الأول نشوء العلة عن معلولها، فكانت حياة نبي الله تعالى سليمان في ملكه تجري على هدم هذا النظر، وسخر الله له الريح تجري بأمره حيث أصاب، وكذلك كانت الخوارق للأسباب هي المسيطرة في معجزات من جاء بعده من الرسل».[35]

[35] المعجزة الكبرى القرآن (ص: 292)

وقال الشيخ محمود غريب من علماء الأزهر: «وسواء كان الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل أو سليمان أو آصف فلا يخرج عن كونه من فعل الروح، وهذا هو المقدار الذي يلزمنا هنا لأن المعجزة والكرامة كلاهما أمر خارق للعادة وكلاهما من عمل الروح.

وقد ذكر العلامة القرطبي تفسيرا لنقل العرش، قال فيه: إن الله أعدم العرش في الشام وأعاد خلقه في مكان سليمان وهذا كلام وجيه، فالعلماء في عصرنا قد استطاعوا تحويل المادة إلى طاقة عن طريق تحطيم الذرة فانعدمت صورتها، وهم يتصورن الآن محاولة تحويل الطاقة إلى مادة ليعيدوها أجسام كما كانت».[36]

قلت: وسواء بلغت التكنولوجيا في عصرنا تحويل المادة إلى طاقة أو لم تبلغ، فإن الذي نصدقه أن عرش الملكة تحول إلى مجلس سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه، فلم يزده ذلك إلا شكرا وخضوعا لربه جل وعلا.

[36] سورة الواقعة ومنهجها فى العقائد (ص: 243)

تعرُّض معنى الآية للتحريف من قبل العقلانيين المنحرفين

إن ممن تعرّض لتحريف معنى ما جاء في قصة سليمان وعرش الملكة، الشيخ الدمنهوري، في كتابه: «الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن». وهذا الشيخ يعتبر واحداً من رواد دار الدعوة والإرشاد التي أنشأها وأشرف عليها الشيخ رشيد رضا، وصدرت له عدة مؤلفات، خص منها للطعن في السنة مؤلفان هما : «الطلاق المدني في القرآ» و«تفسير القرآن بالقرآن». داعياً في كراهية إلى ضرورة حرق السنة النبوية وإعدامها من الوجود بدءً من البخاري ومسلم، ومنكراً نبوة آدم عليه السلام ومعجزات الأنبياء والنسخ في القرآن...إلخ. وقد أنكر عليه الشيخان: رشيد رضا وتوفيق صدقي.

يقول الشيخ الدمنهوري هذا: « قوله تعالى: ﴿بِعَرْشِهَا﴾ بملكها، يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول فى البلاد، فطلب الخريطة التى فيها مملكة سبأ ليهاجمها، ويريها أنه جاد غير هازل، ﴿عِفْرِيتٌ مِّن الجن﴾ أحد القوَّاد، ويظهر أنه لم يفهم أن المسألة علمية جغرافية تحتاج إلى الذى ﴿عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكتاب﴾ من الكتابة والرسم والتخطيط، ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الغَرض أنه يأتى به حالاً وقد أتى به، ويحتمل أنه رسمه فى الحال أو كان عنده مرسوماً، ولو كان عهد الفوتوغرافيا قديماً لصح أن يكون ذلك الرسم بها، وترى أن سليمان يشكر الله على ما فى المملكة من العلماء العاملين فى كل فن، ونأخذ من القصة أن الله يُعَظِّم شأن العلم ويدعونا إلى التمسك بالأسباب الكونية لتشييد الملك وإقامة الدولة، ﴿وَأُوتِينَا العلم﴾ يؤيد لك أن المسألة علمية، ﴿مُسْلِمِينَ﴾ منقادين لله،

يعنى أنهم جمعوا بين العلم والتربية على الخُلُق العظيم، وهذا أحسن حافظ لنظام الملك وعزة الدولة».[37]

شيخ الإسلام ابن تيمية
يرد على منكري حمل الجسم الثقيل في الهواء

قال شيخ الإسلام ردا عمن أنكر حمل الجسم الثقيل في الهواء: «ومن أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان:

أحدهما: أن الجسم الثقيل لا يصعد، وهذا في غاية الضعف، فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حمل من اليمن إلى الشام في لحظة، ولما قال سليمان: ﴿يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين – قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين – قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ [النمل: 38 – 41]. ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكره لما كان يحمله البساط في الهواء، وهو جالس عليه بأصحابه، ومثل حمل قرى قوم لوط، ثم إلقائها في الهواء، ومثل المسرى إلى بيت المقدس الذي ظهر صدق الرسول بخبره».[38]

---

[37] ينظر التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي(2/ 395)

[38] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (6/ 178 . 179)

إنكار الشيخ أحمد شاكر على العقلانيين منكري نقل عرش بلقيس في أقل من رمشة عين

قال رحمه الله: فهذه حادثة لا تحتمل تأويلاً، استطاع فيها رجل من أصحاب سليمان عليه السلام بما علمه الله من الكتاب، أن ينقل عرش الملكة من اليمن إلى الشام في مثل لمح البصر، ويؤمن بصحتها كل مسلم يصدق القرآن، وهي من نوع الإسراء والمعراج في نقل الأجسام، فماذا تسمون من يؤمن ببعض الآيات وينكر بعضها.

أيها السادة:

قد فشت بدعة منكرة في هذا العصر، وهي بدعة تأويل نصوص القرآن لتطابق ما يسمونه (العلم الصحيح أو العلوم الكونية) تقربًا إلى متعلمي هذه العلوم، أو تملقًا إلى أساتذتهم المستشرقين، وهم طلائع المبشرين، وسواء عليهم أكانت هذه النظريات العلمية ثابتة بثبوت اليقين، أم كانت من الظنون التي يفترضها العلم افتراضًا ويرجحها لأنه لا يوجد فرض آخر أرجح منها، وإنما الذي يهم هؤلاء المتأولين أن يسميهم الناس مجددين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها السادة:

لقد أطلت الكلام فيما عمدت إليه، وأحس أني قد أمللتكم، ومجال القول ذو سعة، وحسبي أن قد تفضلتم بالإصغاء إليَّ، وأستغفر الله لي ولكم.

أبو الأشبال أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي».[39]

---

[39] مجلة المنار (35/ 714)

الشيخ الشعراوي يوضح مسألة نقل العرش بتلك السرعة

ذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي حين تكلم عن الآية، مسألة السرعة وعلاقتها بالقوة: فقال رحمه الله: «وهذه تكلّمنا عنها في قصة «الإسراء والمعراج» فقد أُسْرِي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه السرعة؛ لأن الله تعالى أَسْرى به، ونقله من مكان إلى مكان؛ لذلك جاءت الرحلة في سرعة فوق تصوُّر البشر.

وما دام الزمن يتناسب مع القوة، فلا تنسب الحدث إلى رسول الله، إنما إلى الله، إلى قوة القوى التي لا تحتاج إلى زمن أصلاً، فإنْ قلتَ: فلماذا استغرقتْ الرحلة ليلةَ وأخذت وقتاً؟ نقول: لأنه صلى الله عليه وسلم مرَّ بأشياء، ورأى أشياء، وقال، وسأل، وسمع، فهو الذي شغل هذا الوقت، أمّا الإسراء نفسه فلا زمنَ له.

لذلك قبل أن يخبرنا الحق تبارك وتعالى بهذه الحادثة العجيبة قال: ﴿سُبْحَانَ الذي أسرى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1] أي: نزِّهه عن مشابهة غيره، كذلك مسألة نَقْل العرش في طرْفة عين لا بُدَّ أن مَنْ فعلها فعلها بعون من الله وبعلم أطلعه الله عليه، فنقَلَه ب(كُنْ) التي لا تحتاج وقتاً ولا قوة، وما دام الأمر بإرادة الله وقوته وإلهامه فلا نقول إلا: آمنا.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾ [النمل: 40] أي: العرش ﴿مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هذا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: 40] إما لأنه أقدره على الإتيان به بنفسه، أو سخّر له مَنْ عنده علم من الكتاب، فأتاه به، فهذه أو ذلك فضل من الله».[40]

---

[40] تفسير الشعراوي (17/ 10786. 10787)

شبهة تفسير (آتيك به) بـ: «أبنيه لك» !

من أغرب ما سمعتُ: حمل فعل: «**أتى به**» على معنى: **بنى** !

والصحيح: أن هذا الفعل: «أتى» له عدة معاني حسب ما تعدى به. يقال: أتَى، وأتَى بالشيء، وأتَى على الشيء، يَأتِي، ائْتِ، أَتْيًا وإتْيانًا، فهو آتٍ، والمفعول مَأتِيّ (للمتعدِّي)

وأتَى الشَّخصُ: جاء وحضر، وصل، نزل وحلّ «سوف يأتي يوم الحساب بيننا آجلاً أو عاجلاً- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ « .

كما يأتي: كما يلي.

أتَى الأمرُ: حان، قرب ودنا. ومنه: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ . أتت ساعتُه: دنا أجلُه.

أتَى الشَّيءُ تامًّا: صار وأصبح تامًّا. ومنه:﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾.

أتَى المكانَ والرَّجلَ: جاءه، قصده، مرَّ به. وفي الحديث: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوه». وفي التنزيل:﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى﴾.

أتَى المرأةَ: باشرها وجامعها، ومنه:﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾.

أتَى الأمرَ: فعله، أنجزه وحقَّقه «أتَى جُرْمًا. «لا تنه عن خلق وتأتي مثله». وفي التنزيل:﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾؟

أتَى البيوت من أبوابها: توصَّل إلى الأمور من مدخلها الطبيعيّ، ذهب مباشرة إلى الهدف.

أتَى البنيانَ من قواعده: هدمه. كما في قوله تعالى:﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾.

أتَى به: جاء به وجلبه، أحضره، أوصله «لم يأتِ بجديد في بحثه». «أتَى بخطّة جديدة». «أتَى بملحوظة غير متوقَّعة».

أتَى عليه:

1 – مرَّ به: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ «.

2 – أتمَّه وأنهاه، نفَّذه وحقَّقه «أتَى على المشروع» أتَى على آخِره: أتمَّه.

3 – أشرف عليه:﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾.

4 – أنفده وأفناه، أهلكه وقضى عليه «أتَى عليه الدهر». «أتَت العاصفة على المحصول». «أتَت النيران على المنزل». ومنه:﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾. «أتَى على الأخضر واليابس»: دمّر كلّ شيء. (انتهى).[41]

قال مقيده: فمن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا أن فعل: «أتى» في الآية قد تعدى بالباء، فصار المعنى: جاء به، وجلبه، وأحضره، وأوصله. ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ **يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا** قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا **آتِيكَ بِهِ** قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ **أَنَا آتِيكَ بِهِ**﴾ [النمل: 38 – 40].

[41] معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 58)

الدليل على نقل عرش بلقيس إلى قصر سليمان

تقول الأخبار: منذ عام 1988 صار معلوما لدى الباحثين أن عرش بلقيس تسمية شعبية لمعبد سبإ قديم!

قلت: هذا المعبد يطلق عليه اسم: معبد برآن . أو العرش عند العامة ! فهو إذاً ليس عرش بلقيس. بل العامة من الناس هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم.

والدليل أن الحافظ ابن كثير رحمه الله قال عن الجامع: «وقال بعض مشايخ الدماشقة: **ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس**، والباقي كله مرمر».[42]

[42] البداية والنهاية ط هجر (12/ 574)

خلاصة الجواب

بناء على ما ذكرناه نقلا مفصلا، يتبين لنا أن قول القائل: «لا يمكن اعتبار نقل العرش معجزة لنبي الله سليمان عليه السلام، ولا حتى كرامة للعبد الصالح الذي عنده علم من الكتاب» !!

لم يقل به أحد من أهل العلم، بل لا يخرج نقل العرش على أن يكون إما كرامة للذي عنده علم من الكتاب، وإما معجزة لسليمان نفسه، لمن ذهب أنه هو المقصود بـ: (الذي عنده علم من الكتاب).

وكذلك من يزعم أنه من الممكن أن يكون قد تمّ نقل العرش من طرف العفريت القوي، والذي عنده علم من الكتاب معا»!!.

فقول غريب شاذ لا مفهوم له من نص الآية، لا ظاهرا، ولا من دليل الخطاب، ولا من فحوى الكلام، ولا من دلالة الاقتضاء، ولا الإيماء،. وإنما قائل هذا حمل ظاهر الآية على خلاف ما عليه. وهذا لا يجوز ولا ينبغي إلا إذا تعذر فهم سياق الآية، أو عنده نص صحيح من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أحد أصحابه بسند صحيح. وهذا غير وارد. فوجب على القائل التوقفُ عند ما توقف عنده السلف، وعزوُ العلم لله تعالى، مع إبقاء النص على ما هو عليه. لعلمنا أن في القرآن آيات لا يعلم تأويلها إلا الله جل وعلا.

ما يستفاد من الآية

ولما كان الاعتبار هو القصد من قصص الأنبياء، كما دلت عليه الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: 111]. لزم على العبد أن يعتبر من قصة سليمان، ويأخذ منها ما يزيده علما وقربا من ربه جل وعلا. لا أن يشغل نفسه بما لا طائل وراءه، فلو كان في ذكر اسم الذي عنده علم من الكتاب، أو في كيفية الإتيان بالعرش حكمة لأظهره الله تعالى وبيّنه، كما ذكر أسماء في القرآن بأعيانهم.

يقول أبو زهرة في تفسيره: «وصف الذي أتاه قبل أن يرتد إليه طرفه بأن عنده علم من الكتاب، فما هو هذا الكتاب، أهو السجل المحفوظ، أم كتاب من كتب العلم والمعرفة، ومن أي جنس، أهو من الإنس أم من الملائكة، لم يبين القرآن قبيله ولا كتابه، فكان حقا علينا ألا نتعرف ما لم يعرفنا الله به، إذ لَا سبيل لذلك، ولم يرد عن السنة ما يوضح ذلك بخبر صحيح يمكن الاعتماد عليه.

وإن هذه سمعيات يجب التصديق بها والإذعان لها، وكثير من قصة سليمان أمور غيبية توجب الإذعان ويكتفى بالإيمان بظواهرها، غير متأولين، ولا قافين ما لا نعلم، وقد نقول إن علم الكتاب علم رباني يؤتيه الله من فضله من يشاء من عباده إنه عليم خبير».[43]

فمما يستفاد من الآية:

. شرف العلم وتقدمه على القوة المادية الحسية، لذا يذكر شأن العلم في السورة ويتكرر، منه قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ [النمل: 42]. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ

[43] زهرة التفاسير (10/ 5455 . 5456)

دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: 16]. ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: 66]. ﴿قال الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾ [النمل:40].

يقول صاحب الظلال: « والتركيز في هذه السورة على العلم. علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة. وآياته الكونية التي يكشفها للناس. والعلم الذي وهبه لداود وسليمان. وتعليم سليمان منطق الطير وتنويهه بهذا التعليم.. ومن ثم يجيء في مقدمة السورة: «وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» . ويجيء في التعقيب «قُلْ: لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» .. «وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَما يُعْلِنُونَ. وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ» ويجيء في الختام:

«سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها» .. ويجيء في قصة سليمان: «وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» .. وفي قول سليمان: «يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» .. وفي قول الهدهد: «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ» . وعند ما يريد سليمان استحضار عرش الملكة، لا يقدر على إحضاره في غمضة عين عفريت من الجن، إنما يقدر على هذه: «الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ» .

وهكذا تبرز صفة العلم في جو السورة تظللها بشتى الظلال في سياقها كله من المطلع إلى الختام. ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل..».

. ومنها: ظهور نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النعمة. وهي نعمة العلم والملك والنبوة مع تسخير الجن والطير لسليمان. وفيها تظهر كذلك أصول العقيدة التي يدعو إليها كل رسول.

ويبرز بصفة خاصة استقبال ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان- وهو عبد من عباد الله- واستقبال قريش لكتاب الله. هؤلاء يكذبون ويجحدون. وأولئك يؤمنون ويسلمون. والله هو الذي وهب سليمان ما وهب، وسخر له ما سخر. وهو الذي يملك كل شيء، وهو الذي يعلم كل شيء. وما ملك سليمان وما علمه إلا قطرة من ذلك الفيض الذي لا يغيض.(انتهى)[44]

ومنها: أن الله أعطى سليمان ملكا عظيما، فيه أمور لا يمكن أن تدرك بالأسباب، وإنما هي من تقدير الملك الوهاب مثل تسخير الريح تبعا لأمره، وتسخير الشياطين، وكون جنوده من الإنس والجن والطير، وأن الطيور كانت تخدمه الخدمة العظيمة، يرسلها للجهات توصل منه الأخبار، وتأتيه بأخبار تلك الجهات، وقد أعطاها الله من الفهم ومعرفة أحوال الآدميين ما قص الله علينا نبأه في هذه القصة، وكذلك الذي عنده علم من الكتاب حين استعد أن يأتيه بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه، وهذه آيات أنبياء، فلهذا مهما بلغ الخلق في الترقي في علوم الطبيعة والمهارة بالمخترعات فلن يصلوا إلى ما أُعطيه سليمان». (قاله الشيخ السعدي رحمه الله).[45]

---

[44] في ظلال القرآن(5/ 2625)

[45] تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (1/ 252)

وفي هذا القدر كفاية، وحسب القلادة ما أحاط بالعنق

والله أعلم، ونسبة العلم إليه أسلم وأحكم.

وصلى الله وسلم على

نبينا محمد

وعلى آله

وسلم.

هذا الكتاب منشور في